

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

العَنْزَة وَالغُولة

ما هي هٰذه «الحِكايات الشَّعْبِيَّة»؟

إنَّها لَمَحات مِنَ الماضي وصُوَر مِن التُّراث بأساطيره وتَقاليده وعاداته، نَسيناها أو كِدْنا نَنسى مُعظَمها، يُعيد إحياءَها الأديب إميل يوسف عوّاد بقَلَمه الصّادِق الشفّاف.

مَع هٰذه الحِكايات، يَعود أبناء الجِيل الجَديد إلى جُذورهم الّتي هُمْ عنها غافِلون، فما يَنطبِق على قَرية يَنطبِق على كُلّ القُرى، وما يَحْدث لِفَرْد قد يَحْدث مَثيلُه لِباقي أفراد المُجتمَع.

إنَّها دَعوة لِلرُّجوع إلى الضَّمير والسَّيْر في طَريق الإيمان بِالله ومَحبَّة الإنسان لِأخيه الإنسان والارْتِباط بِالطَّبيعة والأرْض والوَطَن، مِن أَجْل حَياة هانِئة وادِعة بَريئة.

كُلّ ذٰلك بأسلوب رَشيق جَذّاب هو أبْعَد ما يَكون عن الوَعْظ المُباشِر والعِبارات الطَّنّانة.

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

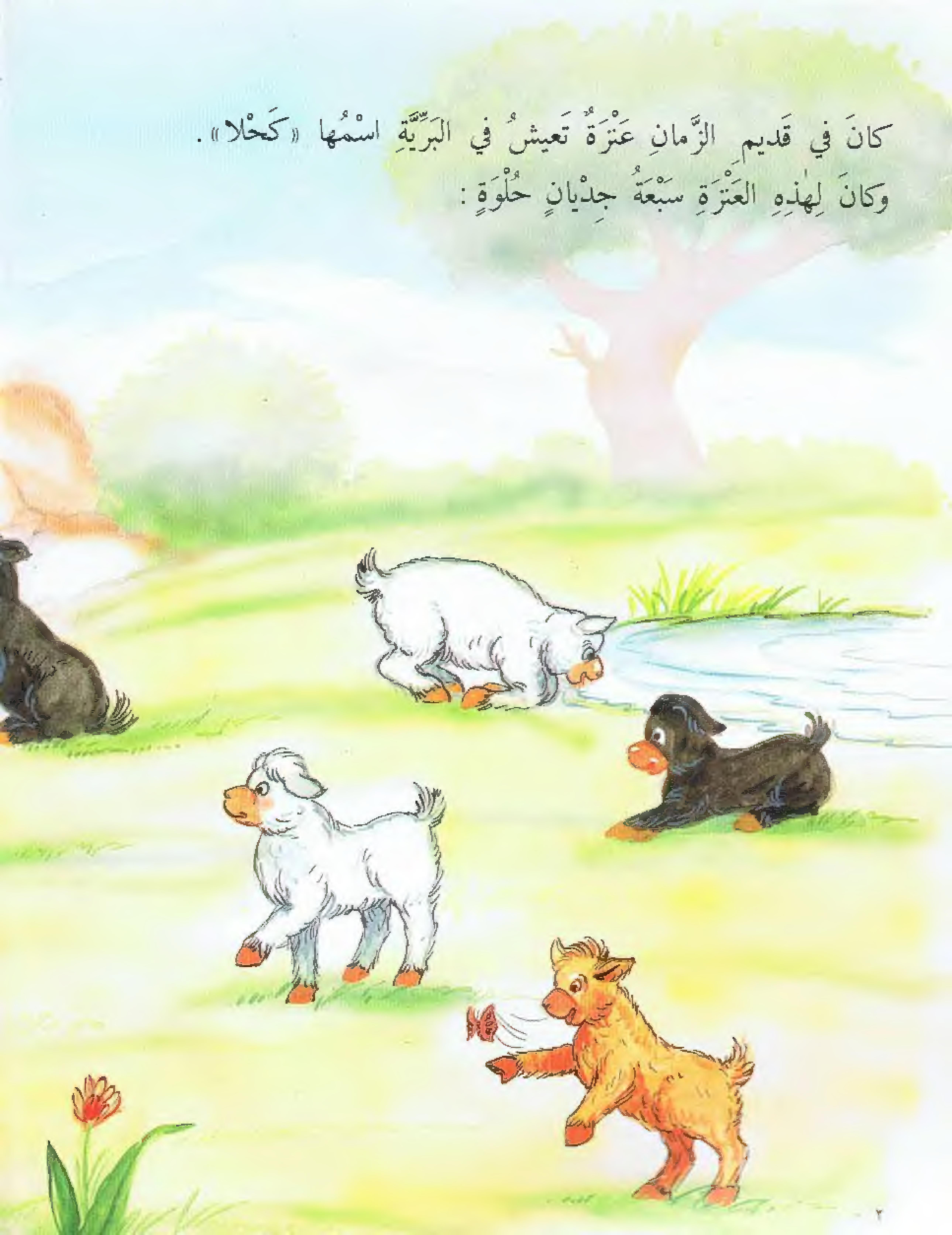
العَنْزَةُ وَالغُولَة



إميل يوسف عوّاد



مكتبة لبنان ناشرون



كانَ في قَديمِ الزَّمانِ عَنْزَةٌ تَعيشُ في البَرِّيَّةِ اسْمُها «كَحْلا».
وكانَ لِهٰذِهِ العَنْزَةِ سَبْعَةُ جِدْيانٍ حُلْوَةٍ:



ثَلاثَةٌ سَوْداءُ كَاللَّيْلِ ، وثَلاثَةٌ بَيْضاءُ كَالثَّلْجِ .
وكانَ السّابِعُ أَشْقَرَ أَبْرَصَ ، ولِذلِكَ سَمَّتْهُ أُمُّهُ «بَرّوص» .
وكانَ بَرّوص شَيْطانَ إخْوَتِهِ .



كانَتِ الأُمُّ توصي أَوْلادَها دائِمًا :

- إيّاكُمْ أَنْ تَبْتَعِدوا في البَرِّيَّةِ ، أَخافُ أَنْ تَطْلَعَ لَكُمُ الغُولَةُ .

الغُولَةُ تأْكُلُ الجِدْيانَ الصِّغارَ ...

... تَروحُ وتَجيءُ في البَرِّيَّةِ ، وتُغَنِّي هٰكَذا :

أَنـا الغُولِهْ الغوّالي   مِن بيُّوقـافِ قْبـالي
بِزْلَعْ بِبْلَعْ ما بِشْبَعْ   وعَالتَّلْج بْمَرْمِغْ حالي .





بَرّوص لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ كَلامَ أُمِّهِ. يَتْرُكُ إخْوَتَهُ وَيَشْرُدُ وَحْدَهُ.
يَنُطُّ عَلى الصُّخورِ طالِعًا، نازِلًا، ناطِحًا خَيالَهُ في الهَواءِ.

ذاتَ يَوْمٍ كانَتْ كَحْلا مَعَ جِدْيانِها في البَرِّيَّةِ، وشَرَدَ بَرّوص وضاعَ. وفَجْأَةً تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالغُيومِ، ونَزَلَ الثَّلْجُ وغَطَّى الطَّريقَ، وخَيَّمَ الظَّلامُ.





«حُوْ.. حُوْ، بَرْد، يا أُمّي.. بَرْد».
هٰكَذا كانَ بَرّوص يَصْرُخُ باكِيًا حينَما اهْتَدَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ. وكانَتْ أُذُناهُ إِلى الأَرْضِ.

وعِنْدَما عادَتْ كَحْلا بِجِدْيانِها إلى بَيْتِها في المَغارَةِ. كانَ برّوص قَدْ سَبَقَ الكُلَّ في الدُّخولِ إلَيْها وقَعَدَ كالمَلاكِ في الزّاوِيَةِ.





حِينَئِذٍ قالَتْ لَهُمْ:

اِبْقَوْا هُنا. سَأَذْهَبُ وأَجْلُبُ حَطَبًا. وأُوْقِدُ لَكُمْ لِكَيْ تَتَدَفَّأُوا. اِنْتَظِروني ولا يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ المَغارَةِ. أَخافُ أَنْ تَطْلَعَ لَكُمُ الغُولَةُ. أَغْلِقوا البابَ ولا تَفْتَحوهُ في غِيابي..

.. وبَيْني وبَيْنكُمْ عَلامَةٌ : إذا جِئْتُ أَمُدُّ لكُمْ ذَنَبي مِنْ شَقِّ البابِ لِكَيْ تَعْرِفوني ، وأُغَنّي لكُمْ هكَذا :

رْجِعْتِلْكُنْ يا جْدَيّاتي الحَطَبْ عَلى ضْهَيْراتي
والحَليب بِبزَيْزاتي فْتَحولي يا وْلَيْداتي .





فِي هٰذا الوَقْتِ كانَتِ الغُولَةُ فَوْقَ المَغارَةِ . تَمُدُّ أُذُنَيْها وتَسْمَعُ ما تَقولُهُ العَنْزَةُ لِجِدْيانِها .

وَلَمّا راحَتِ الأُمُّ نَزَلَتِ الغُولَةُ مِنْ فَوْقُ . وأَخَذَتْ تَمْشي أَمامَ بابِ المَغارَةِ ذَهابًا وإِيابًا . .

مَرَّةً ،

مَرَّتَيْنِ ،

ثَلاثَ مَرّاتٍ .





فِي المَرَّةِ الرَّابِعَةِ اقْتَرَبَتْ عَلَى مَهْلِها مِنْ بابِ المَغارَةِ.

وعَلى مَهْلِها . عَلى مَهْلِها . دَقَّتِ البابَ ، وقالَتْ وهِيَ تُقَلِّدُ صَوْتَ العَنْزَةِ :

رْجِعِتْلْكُنْ يا جْدَيّاتي   الحَطَبْ عَلى ضْهَيْراتي
والحَليب بِبزَيْزاتي   فْتَحولي يا وْلَيْداتي





نَطَّ بَرّوص يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ. نَطَحَتْهُ أُخْتُهُ الكُبْرى ورَدَّتْهُ إلى زاوِيَتِهِ.

عادَتِ الغُولَةُ تَدُقُّ البابَ وتَطْلُبُ أَنْ يَفْتَحوا لَها .







قالَتِ الأُخْتُ الكُبْرى :

- لا ، لا . الصَّوْتُ لَيْسَ صَوْتَ أُمِّنا . لَنْ نَفْتَحَ البابَ .

أَجابَتِ الغُولَةُ :

- أَنا أُمُّكُمْ ، اسْمَعوا صَوْتي مَرَّةً ثانِيَةً .

وأَخَذَتِ الغُولَةُ تُرَدِّدُ الكَلِماتِ الحُلْوَةَ الَّتي سَمِعَتْها مِنَ الأُمِّ، وتُنَغِّمُ فيها.

حِينَئِذٍ قالَتْ لَها الجِدْيانُ بِصَوْتٍ واحِدٍ:

- مُدّي لَنا ذَنَبَكِ مِنْ شَقِّ البابِ لِنَعْرِفَ إذا كُنْتِ أُمَّنا حَقًّا.

أَدارَتِ الغُولَةُ ظَهْرَها ومَدَّتْ ذَنَبَها مِنْ شَقِّ البابِ.



فَانْحَنَتِ الجِدْيانُ تَتَأَمَّلُ الذَّنَبَ وتَتَفَحَّصُهُ.
وجاءَ بَرّوص ومَدَّ لِسانَهُ ولَحَسَ الذَّنَبَ.
ولكِنَّهُ تَراجَعَ وهُوَ يَصيحُ. وصاحَ مَعَهُ إخْوَتُهُ:



- نَحْنُ نَعْرِفُ ذَنَبَ أُمِّنا. أَحْلَسُ أَمْلَسُ وناعِمٌ مِثْلُ الحَريرِ. وذَنَبُكِ خَشِنٌ وشَعْرُهُ كالمِسَلّاتِ. أَنْتِ لَسْتِ أُمَّنا، ولَنْ نَفْتَحَ لَكِ.



عَرَفَتِ الغُولَةُ أَنَّ حيلَتَها لَمْ تَنْجَحْ. سَحَبَتْ ذَنَبَها بِهُدوءٍ. وعادَتْ رَكْضًا إلى بَيْتِها الَّذي لا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ ولا ماذا تُخَبِّئُ فيهِ مِنْ أَشْياءَ.





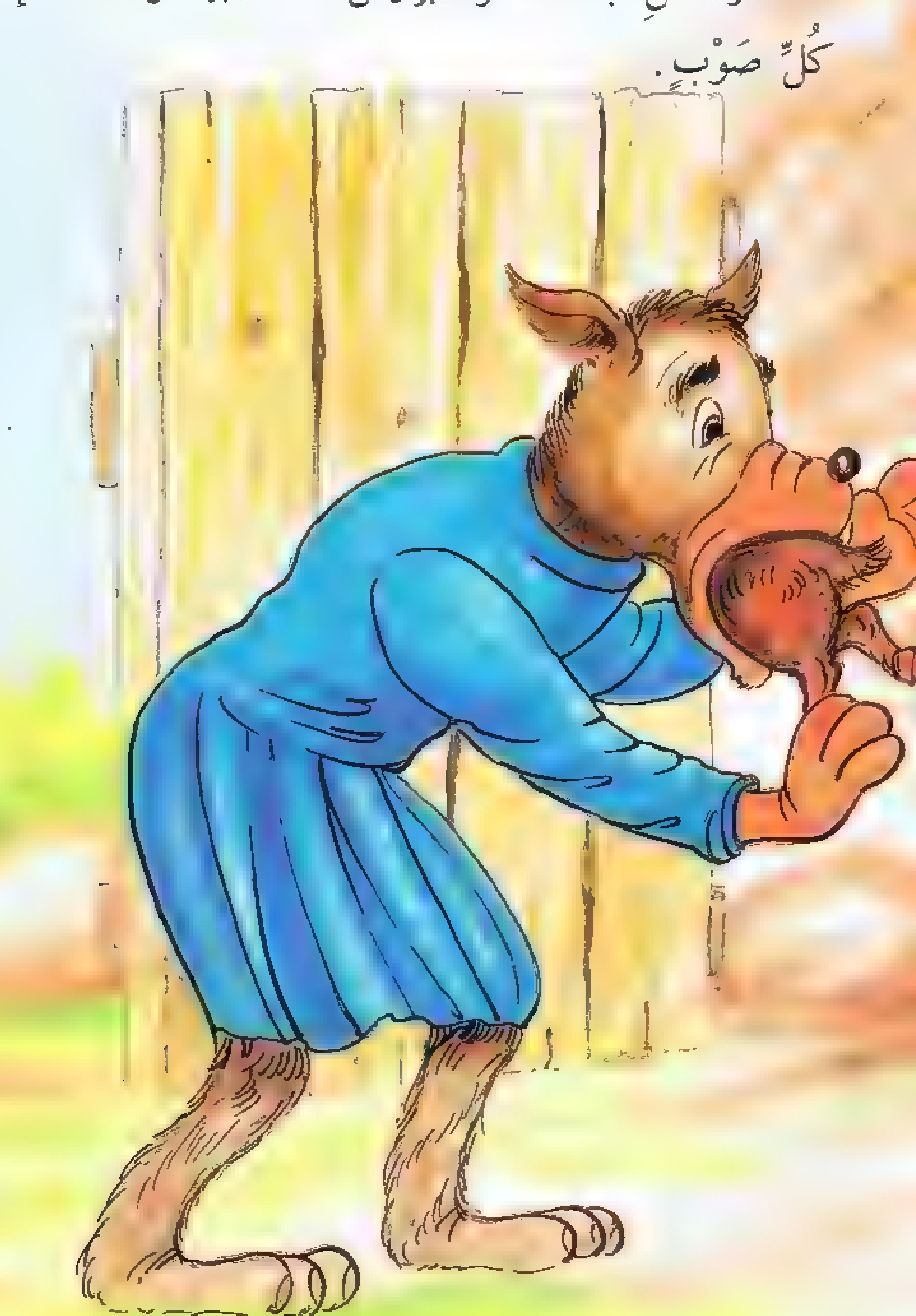
مِنْ جُمْلَةِ هٰذِهِ الأَشْياءِ مِشْطٌ كَبيرٌ ومِشْطٌ صَغيرٌ.
أَخَذَتِ المِشْطَيْنِ، واحِدًا بِيَدٍ والآخَرَ بِيَدٍ، وبِيَدَيْها الاثْنَتَيْنِ أَخَذَتْ تَمْشُطُ ذَنَبَها.



وما زالَتْ تَمْشُطُهُ وتَمْشُطُهُ حتّى صارَ أَحْلَسَ أَمْلَسَ وناعِمًا مِثْلَ الحَريرِ ، ورَكَضَتْ عائِدَةً إلى المَغارَةِ :

رْجِعْتِلْكُنْ يا جْدَيّاتي الحَطَبْ عَلى ضْهَيْراتي
والحَليب بِبزَيْزاتي فْتحولي يا وْلَيْداتي

ومَدَّتْ ذَنَبَها مِنْ شَقِّ البابِ فَفَتَحوا لَها .
كانَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَلَعَتْهُ الغُولَةُ بَرّوص .. أَعْجَبَها لَوْنُهُ. أَمّا إخْوَتُهُ فَهَرَبوا مِنْ كُلِّ صَوْب.





بَعْدَ قَليلٍ وَصَلَتْ كَحْلا إِلى المَغارَةِ. ولَمّا عَرَفَتْ بِما حَصَلَ جُنَّ جُنونُها عَلى بَرّوص. أُخْتُهُ الكُبْرى رَوَتْ لِأُمِّها الحِكايَةَ مِنْ أَوَّلِها إِلى آخِرِها.

- مِنْ أَيْنَ راحَتِ الغُولَةُ؟

- مِنْ هُنا.. مِنْ هُنا يا أُمّي.





حِينئِذٍ رَمَتْ كَحْلا الحَطَبَ عَنْ ظَهْرِها وقَفَزَتْ فَوْقَهُ . وطاحَتْ في البَرِّيَّةِ وهِيَ تَصيحُ :

أَنــا كَحْلا القَوِيّــهْ وقروني حَــديــديّــهْ
واللّي أَكَلّي بَرّوص يْلاقيني عَــالبَرِّيّــهْ

سَمِعَتْها الغُولَةُ وجاءَتْ نَحْوَها وهِيَ تَصْرُخُ بِصَوْتٍ أَشَدَّ :

أَنـا الغُـولِهْ الغـوّالي   مِين بْيُوقـافْ قْبالي

بْزْلَعْ بِبْلَعْ ما بِشْبَعْ   وعَالتَّلْج بْمَرْمِغْ حالي

قالَتِ الغُولَةُ هٰذا وانْطَرَحَتْ عَلى الثَّلْجِ تَتَقَلَّبُ وتُمَرِّغُ بَطْنَها المَنْفوخَ مِثْلَ البالونِ.





تَراجَعَتْ كَحْلا إلى الوَراءِ بِضْعَ خَطَواتٍ فَظَنَّتْها الغُولَةُ خائِفَةً مِنْها. فَأَخَذَتْ تَضْحَكُ عالِيًا.

لٰكِنَّ العَنْزَةَ انْتَصَبَتْ فَجْأَةً عَلى رِجْلَيْها وهَجَمَتْ بِقُرونِها على الغُولَةِ، وبِنَطْحَةٍ واحِدَةٍ شَقَّتْ لَها بَطْنَها عَلى الجانِبَيْنِ حَتّى حارَ برّوص مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ.





ثُمَّ وَثَبَ كَالشَّيْطانِ يَدورُ حَوْلَ أُمِّهِ ويُلاعِبُها مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، بَيْنَما كانَتِ الغُولَةُ تَغوصُ في الثَّلْجِ الَّذي صارَ لَوْنُهُ أَحْمَرَ إلى مَسافَةٍ بَعيدَةٍ...

مُنْذُ ذلِكَ الوَقْتِ أَصْبَحَ بَرّوص عاقِلًا، يَتْبَعُ أُمَّهُ ولا يُفارِقُ إخْوَتَهُ أَبَدًا.

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

مكتبة لبنان ناشِرُون ش.م.ل.

زقاق البلاط - ص.ب : ٩٢٣٢-١١

بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ، ١٩٩٦

طُبع في لبنان

رقم الكتاب 01C193102

أُسْطورَة قَديمَة تَعود بِنا إلى أيّام الطُّفولة: أُضطُرَّت العَنزَة لأن تَترُك جِدْيانها، في يَوم بارِد مُثلِج، وذلك لِجَلْب الحَطَب.

لم يَعْمل الجَدْي الصَّغير بِنَصيحَة أُمّه، فَجاءَت الغُولَة وابْتَلَعَته.

جَرَت مَعركَة عَنيفَة بين العَنْزة والغُولة فَمَن انْتَصر؟ وهَلْ نَجا الجَدْي الصَّغير مِن المَوْت؟





01C193102

مكتبة لبنان ناشرون